1576



صاحب الجلالة يعلن

عن تنظيم استفتاء حول إرجاء الإنتخابات لمدة سنتين

وجه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني خطابا ساميا إلى الشعب المغربي أعلن فيه جلالته عن تنظيم استفتاء يوم فاتح دجنبر 1989 لتمديد فترة انتداب مجلس النواب لمدة سنتين .

وفيما يلي نص الخطاب الملكي السامي :

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه .

شعبي العزيز،

مرة أخرى وجريا على عادتنا ، ها نحن نأخذ معك بالطريقة المثلى التي ألفناها والعادة المختارة التي سرنا عليها ، ألا وهي الحوار والتشاور، والإشراك في ما يخص المسائل الحيوية بالنسبة لبلدنا ، حتى يكون دائما ذلك التيار الوطني والفكري فاعلا مفعوله بينك شعبي العزيز وبين خديمك الأول وعبد ربه .

شعبي العزيز،

حتى لا أطيل انتظارك في الموضوع الذي سأتطرق إليه ، أريد أن أقول لك بادىء ذي بدء أن موضوع هذا الخطاب هو أننا قررنا أن نجري استفتاء . وتعلمون أن الإستفتاء هو أسمى تعبير عن الإرادة الوطنية ، ذلك أن الدستور ينص على أن الإستفتاء يلزم الجميع بمن فيهم ملك المغرب . فالإستفتاء هو أسمى تعبير وأسمى تفسير للإرادة الشعبية حتى تصبح قانونا محترما . فما هو موضوع هذا الإستفتاء؟ كما تعلم شعبي العزيز فإن ملف المغرب معروض الآن على هيأة الأمم المتحدة وذلك لتنظيم هذه الهيأة الدولية الإستفتاء في أقاليمنا الصحراوية . وفكرة الإستفتاء ظلت تخامرني منذ القدم .

وأول مرة فاتحت بها الإسبانيين كانت عام 1965 بمدينة فاس بمناسبة عيد العرش، حينما قابلت هناك السيد سوليس الذي كان في حكومة فرانكو مكلفا بشؤون الحزب . وقلت له لا أريد أن أدخل مع اسبانيا في حرب ولا أريد أن تنصب اسبانيا طرفا وجزءا لا يتجزأ من الجسد المغربي ليختار شبه الاستقلال أو شبه الحكم الذاتي . فالصحراء هي طرف منا أو نحن طرف منها، وحتى لا تنطلي علينا أية حيلة فأنا أطلب من الجنيرال فرانكو أن نجري استفتاء في الصحراء في عام 1965 .

ومنذ ذلك الحين ونحن نطلب من العدالة الدولية أن تنصفنا ، وجاءت المسيرة الخضراء وكانت ولله الحمد مسيرة مظفرة ناجحة ولازلنا اليوم نجني ثمارها . ولازالت تلك المسيرة تدل على أن الصحراء طرف منا، وعضو منا ولو ترك الخيار للمغاربة لشاركوا فيها جميعا . ولازال جميع المغاربة في ما إذا ظهرت مصلحة في تنظيم مسيرة أخرى مستعدين لنهج ذلك النهج .

وقد طلبت منا الجهات المعنية والدول التي لم ترد أن تعترف لنا بحقنا وكانت آنذاك تعتبر وجودنا وجود مستعمر دخيل على الشعب الصحراوي أن نجري الإستفتاء وكنا آنذاك نرفض أن نجري الإستفتاء . ولكن نزولا عند الرغبات المتنوعة والمتكررة لرؤساء دول أشقاء وإخوان عرب، وغير عرب

أوربيين وأسيويين وأفارقة قبلنا الإستفتاء.

ولولا تدخلهم ورغبتهم، لا أقول ضغطهم، لأن المغرب لايعمل تحت الضغط ولن يعمل تحت الضغط، لما قبلنا الإستفتاء. وحينذاك قلنا طيب. ذهبنا إلى نيروبي المرة الأولى والمرة الثانية، وفوجئت منظمة الوحدة الإفريقية حينما أعلنا في خطابنا الرسمي عن رغبتنا في إجراء الإستفتاء.

وهنا يجب أن أؤكد نقطة مهمة للتاريخ، وهي أنني أعتبر شخصيا أن أديم كودجو الأمين العام السابق لمنظمة الوحدة الإفريقية ارتكب جريمة في حق إفريقيا لن ينساها له التاريخ ذلك أنه فتح أبواب المجموعة الإفريقية على مصراعيها لدخول «الجمهورية» المريخية أو الفضائية، مضطرا المغرب لأن يغادر كرسيه بكل أسف وبكل حزن. فلو لم تدخل تلك «الجمهورية» المزعومة وبقي المغرب ضمن أسرته الإفريقية، وقد مر على ذلك الآن خمس سنوات، لي اليقين لوجدنا قبل هذا اليوم الحل الإفريقي المطابق للأسرة الإفريقية والمنصف لحقوق الجميع.

فلهذا أعتبر أن منظمة الوحدة الإفريقية وبالأخص الدول الإفريقية التي صوتت لصالح دخول تلك «الجمهورية» إلى مجموعتنا لازالت تتحمل مسؤولية أدبية.

فهي أولا لم تكن تظن أن المغرب سينسحب من المنظمة الإفريقية، وثانيا كانت تنتظر أن ترى المغرب قصير النفس وكانت تنتظر أن تركع المغرب، وهذا البلد لا يركع إلا لله سبحانه وتعالى. فطيلة تاريخه الأصيل والقديم وفي حاضره وفي مستقبله لن يركع إلا لله. ومن كان يظن أنه يمكن أن يركب مع المغاربة طريق العنف أو طريق الإغراء بدل أن يركب معهم طريق التعقل وطريق الفضيلة وطريق حسن الأخلاق، فأنا أعتبر شخصيا أنه غالط كل الغلط.

وحينما رفعنا ملفنا إلى هيأة الأمم المتحدة أصبحنا نجري اتصالات مع الأمين العام للنظر في إجراء هذا الإستفتاء، ولازلنا منذ ذلك الحين إلى يومنا هذا ننتظر العمليات الأولية لتنظيم ذلك الإستفتاء. وقد ظهر لنا جليا أن خصومنا الظاهرين وغير الظاهرين لم يؤمنوا في أي وقت من الأوقات بالإستفتاء. فحتى في الوقت الذي كانوا يطالبون به، كان المغرب يرفضه، كانوا لا يؤمنون بالإستفتاء لأن جل أولئك الخصوم كانوا أنفسهم في بلدهم لايعيشون تحت ظل استفتاء أو مشاورة، فقد كانوا كلهم من الحزب الوحيد بحيث لايؤمنون ولا يمارسون المشورة وأخذ الرأي والأخذ والعطاء. لقد كانوا في تربيتهم الضيقة لا يؤمنون إلا بالأمر العنيف الذي ليس له أي استئناف.

فتشككوا من أول وهلة في ما يخص طريقة الإستفتاء الديمقراطية والشعبية أي القاعدة، ولازالوا إلى حد الآن يضعون لنا العراقيل وسارت بهم الوقاحة — لا أقول أعضاء «الجمهورية» المزعومة بل حلفاؤها - إلى أن طالبوا بخروج الجيش والإدارة وعشرات الآلاف من السكان المغاربة من الشمال الذين جاؤوا واستوطنوا بالصحراء. فرفضنا ذلك كله وقلنا لهيأة الأمم المتحدة وللأمين العام: إذا كنا سننسحب فإننا سننسحب جميعا. فسنقطع أسلاك الهاتف ونفك جميع وسائل المواصلات ونردم جميع الآبار ونأخذ معنا جميع السيارات ونسلح السكان، لأن حياة السكان الصحراويين هي تحت أمانتنا ورعايتنا ومسؤولياتنا. فلا يجب أن نسمع فقط خصومنا، وإذا بقينا دائما لا نأخذ بعين الإعتبار سوى ما قاله خصومنا دون أن ننصف الناس المرضيين مع وطنهم، سنكون حقيقة مجرمين في حق إخواننا الصحراويين.

فإذا خرجت إدارتنا وخرج الجيش فكما أن أولئك الأشخاص الذين هم من الجهة الأخرى

مسلحون بالدبابات فلن نخرج حتى نترك الدبابات . ونظرا لقدراتهم وعددهم لي اليقين أن الصحراويين المرضيين مع وطنهم سيسحقون الآخرين . ولكن لا أريد أن أصل إلى هذه القطيعة ، وقلت مرارا وتكرارا أنه من واجبي ككل عربي ومسلم بالخصوص ، أن يتحلى بالأخلاق النبوية ، ومن جملة الأخلال النبوية صلة الرحم وعدم القطيعة وعدم فصل الأسر فلهذا ولكي لا أزيد في الأخذ والعطاء ويضيع لنا الوقت بخصوص هذا الإستفتاء لم أرد أن أعطيهم سببا آخر لجعلهم يقولون للناس انظروا إلى المغرب يعطي بيد ويأخذ بيد . فما هو موضوع الإستفتاء؟

الموضوع هو أنه في السنة المقبلة في شهر سبتمبر ربما كانت ستجري الإنتخابات البرلمانية والبلدية .

وهذه الإنتخابات إذا كانت ستنظم ، فيجب أن تنظم في جميع بقاع المغرب من الكويرة إلى طنجة . فلا يعقل أن نقول بها أن الإستفتاء سيجري نترك المناطق الصحراوية لا تنتخب ممثليها في البرلمان أو في البلديات . وحتى نظهر مرة أخرى للضمير العالمي ولأفراده ذوي النيات الحسنة ، وحتى ندحض حجج الخصوم قررنا أن نرجىء الإنتخابات في جميع أنحاء المغرب لمدة سنتين ، وكما تعلم شعبي العزيز، فإن مدة انتداب البرلمانيين سواء منهم الذين انتخبوا مباشرة أو الذين انتخبوا بكيفية غير مباشرة من طرف المجالس البلدية أو من طرف الغرف المهنية منصوص عليها في الدستور، ولا يمكن أن يزداد فيها أو ينقص منها إلا بالإستفتاء لأن دستورنا لا ينص على طريقة أخرى لمراجعة الدستور إلا الإستفتاء والإحتكام إلى الشعب .

فإذن شعبي العزيز من مصلحتنا أن نمدد فترة الإنتداب وثق بي أني لم أقدم على هذا العمل إلا بعد أن أخذته من جميع أطرافه وفكرت في عواقبه وحللت جهد المستطاع — وبالطبع أنا بشر كالجميع — إيجابياته وسلبياته وفي الأخير رجحت هذه الفكرة في ذهني وفي وجداني كذلك وفي تجربتي السياسية . ومعلوم أن هناك أناسا أعطاهم الله الحاسة السادسة وهناك أناسا لم يعطها لهم . وأنا أحمد الله سبحانه وتعالى أن لي هذه الحاسة سواء في قضية الصحراء أو في القضايا المصيرية بالنسبة لبلادي وبالنسبة لسيادتنا ، وهذا العطاء لا أقول أنه جاء من الله ونزل بل كان ثمرة وممارسة الشؤون . فمنذ 35 أو 40 سنة وأنا أمارس هذه الشؤون وكان لي الحظ أن مارستها مع رفاق محترمين منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، وكلنا أخذنا هذه الحاسة السادسة من أستاذنا جميعا ومربينا جميعا محمد الخامس طيب الله ثراه .

شعبي العزيز،

أقول لك بكل إخلاص أن وجداني وتحليلي ومنطقي يجعلني أطلب منك أن تجيبني بنعم بكل اطمئنان فيما يخص هذا السؤال :

هل تريد أن نزيد في عمر هذا البرلمان سنتين ونؤخر الإنتخابات كلها لمدة سنتين؟ فنصيحتي لك هي أن تقول نعم ، ولكن إذا ارتأيت أنه لا ينبغي لنا أن نمدد هذه الفترة فالكلمة الأخيرة هي لك وستكون دائما لك . وحينما يكون الإستفتاء ترى شعبي العزيز أنني واحد منكم ولما يكون اقتراع آخر لا تراني في مكاتب التصويت ، لكن لما يتعلق الأمر بقضية مصيرية تتطلب الإستفتاء أكون واحداً من المواطنين .

وبما أن القانون خول لي حرية المشاركة في الإستفتاء فمعنى ذلك أن القانون يقول لي أن نعم أو لا التي ستصوت بها يمكن أن تكون خاطئة ومع الطرف الخاطيء ، لكن في هذه القضية لا أظن أنني

سأكون على خطأ.

فقضية الصحراء أعرفها وأنت كذلك تعرفهـا، ولكنني أعيشها صباح مساء وأعرف دقائقها جيدا لدرجة أنه لو كـان لكل حبة رمل في الصحراء ورقة تعريف لظل رقمها مرسومـا في بالي، لأن هذه أمانة أخذتها على عنقي ومن الـلازم أن أؤديها إلى النهاية وحتى يقـدر الله أن يعطيها لآخر. لكن مـادمت أنا المؤتمن عليها فسوف لن أعـرف لا راحة ولا اطمئنان بال إلا إذا انتهت هـذه القضية، وستنتهي إن شاء الله بانتصارنا لأن الحق يعلو ولا يعلى عليه. وتذكروا دائما ما كان يقوله سيدنا محمد الخامس طيب الله ثراه «ما ضاع حق من ورائه طالب».

ولكن لماذا سنتين بالضبط وليس سنة واحدة فقط أو ثلاث سنوات؟

أعتقد أن مدة سنتين هي فجوة من التاريخ صالحة لتنظيم الإستفتاء، ونحن نظن الخير الكبير في صديقنـا السيد بيريز دي كويـلار ومن هيأة الأمم المتحدة ومن جميع ذوي النوايـا الحسنة، ونأمل أن لا يتأخـروا في تنظيم الإستفتـاء. وليس هـذا تهديـدا لأنه ليس مـن طبعي التهديـد ولا ممـارسـة الضغط المعنوي. أبـدا فليس من عادة المغرب أن يمارس الإبتزاز ولم يسبق لـه أن ابتز أحدا. وهو لم يأخـذ إلا ما هو له ولا يدافع إلا عما هو له. لكن إذا لم يجر الإستفتاء خلال هاتين السنتين فإنني سأكون الأول لأقول لك شعبي العـزيز أنـه علينـا أن نستنتج من ذلك التأخـر أو التماطل أو التبـاطؤ النتـائج التي يجب أن تستنتج بروح المسؤولية التي يجب أن تخامر كل بلد مستقل وذي سيادة.

فإذن لنتكل على اللـه شعبي العـزيـز، ولنـزد هذا البرلمان سنتين ولنقـف صامـدين في حـدودنـا ولنواصل مسيرتنا التنموية سواء في أقاليمنا الصحراوية أو في أقاليمنا الشمالية، ولنتفتح على العالم الذي تجري فيه الآن أحـداث قلبت التاريخ. لا أقول تـاريخ قارات لأن المشكل المطروح اليـوم ليس مشكلا جغـرافيا ولا حتى إيـديولـوجيا، بل هـو مشكل إيجاد نموذج وطـريقة معـالجة الأمور وخـاصة الأمـور الإقتصادية.

هل تعالج بالديمقراطية أم باللامركزية أم بالمسؤولية الفردية والجماعية أم تعالج ببيروقراطية جامدة لا تتحـرك إلا لطائفـة ضئيلة من النـاس دون أن يستمتع بها الآخـرون؟ بحيث أن المصارعـة التي تجري حولنا الآن ليست مصارعة في الإيديولوجيا بل مصارعة في الطرق التنموية.

إذن لنفتح أعيننا على الخارج ولنفتح كـذلك آذاننا وعقـولنا ولنعط هذه الفـرصة (فـرصة سنتين) لأصدقـائنا ولمنصفينا ليجـروا ذلك الإستفتاء الذي أريـد أن يكون استفتـاء دوليا يعترف لنا من خـلاله المجتمع الدولي بحدودنا نهائيا.

لقد كـان بالإمكان أن أتفق مع الجيران بكذا وكـذا، ولكن لننظر ما وقع بين إيران والعـراق، لقد حصل اتفـاق ثنائي وبمجرد مـا جاءت الفـرصة وقع مـا وقع، وها هـي الأمور معلقة. ورغـم إيقاف إطلاق النار لازال كل يوم ينـذر بأن يكون هو منطلق الحرب الجديدة. كلا أنا لا أريـد ذلك لا بالنسبة لك شعبي العزيز ولا بالنسبة لجيراني ولا بالنسبة لقارتنا.

ومـا أريـد هـو حـدود متفق عليهـا دوليـا. ولا يمكن أن يعطينـا الحدود المتفق عليهـا دوليـا إلا الإستفتاء السليم والهادىء والمنصف إن مـر كما نريد. أردت أن أتجنـب إعطاء سبب آخر يقـول الناس انطلاقـا منه أنني أستفزهم بتنظيم انتخابـات في مكان هو موضـوع استفتاء. فالصحراء مغـربية ولكن ماداموا يقولون لنـا تعالوا نطرح السؤال فإني أقول لهم تعالوا نطـرح السؤال، في الحقيقة التحدي منطلق



منا وليس منهم. فنحن الذين نتحداهم ونقول لهم إذا كنتم تعتبرون أن الصحراويين ليسوا مغاربة فليأتوا ليقولوا ذلك.

لهذا شعبي العزيز أريد أن تفهمني جيدا، لا أريد أن أؤثر على رغبتك أو إرادتك ولكن من واجبي أن أقول لك إن قلبي وضميري وتحليلاتي وكل شيء يميل إلى أن نزيد في عمر هذا البرلمان سنتين.

وإن شاء الله سنعطي الحملة الإستفتائية مدة عشرة أيام أو تسعة أيام. ويوم الجمعة ما بعد القادم سنلتقي جميعا كل واحد في دائرته الإنتخابية أمام مكاتب التصويت راجين من الله أن يكون قد ألهمنا حسن الإختيار وقائلين بفم واحد «بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم».

«فإذا عزمت فتوكل على الله» صدق الله العظيم والسلام عليكم ورحمة الله.

22 ربيع الثاني 1410 ـ 22 نونبر 1989